الإسلام وأسطورة المجابهة:

الدين والسياسة في الشرق الأوسط

المؤلف: **فراد هاليداي Fred Hallidazy**

الناشر: I. B. Tauris Publisher, London, New York, 1996, (255pp.)

محمد الذوادي*

تقديم

يقع كتاب "**الإسلام وأسطورة المجابهة**" في جزأين رئيسين: عنوان الجزء الأول "محاولة فهم الشرق الأوسط". أما الجزء الثاني، فعنوانه "أساطير المجابهة". ويحتوي الجزء الأول على ثلاثة فصول وهي: 1- الشرق الأوسط والسياسة العالمية. 2- الثورة الإيرانية من منظور مقارن. 3- حرب الخليج 1990-1991. ويشمل الجزء الثاني أربعة فصول وهي: 1- الإسلام والغرب: خطر الإسلام أم خطر على المسلمين؟ 2- حقوق الإنسان والشرق الأوسط الإسلامي: العالمية والنسبية، والعداء للمسلمين 3- السياسة المعاصرة: إيديولوجية واحدة أم إيديولوجيات متعددة؟ 4- خلاصة: الاستشراق ومنتقدوه.

يعترف المؤلف بأن كل فصول هذا الكتاب، باستثناء الفصل السادس، قد سبق نشرها أجزاءً من كتب أو مقالات ودراسات في مجلات أكاديمية مثل The British Journal of the Middle East وقد قام صاحب الكتاب بمراجعة هذه الفصول وتعديلها خصيصاً لإصدارها مجتمعة في هذا الكتاب.

عرض وبيان

يعالج **الفصل الأول** من الكتاب قضية اعتقاد كثير من المحللين السياسيين في العالم المعاصر بأن الشرق الأوسط ينفرد ببعض السمات عن سواه من المناطق في العالم. فبعضهم يذهب مثلاً، إلى القول: بأن منطقة

* دكتوراه في علم الاجتماع من جامعة مونتريال بكندا. أستاذ في قسم علم الاجتماع بجامعة تونس الأولى، تونس.

الشرق الأوسط شهدت أكبر عدد من الصراعات بين الدول بعد 1945 والمتمثلة في الحروب العربية الإسرائيلية وغزو العراق لجارتيه إيران والكويت. ولا يعتقد **هاليداي** أن هذه خاصية تنفرد بها دول الشرق الأوسط، بل يرى أن منطقة الشرق الأقصى عرفت عدداً من الصراعات الأكثر دموية واستنزافاً للاقتصاد والموارد الطبيعية، فحربا كوريا وفيتنام مثالان شاهدان على ذلك (ص 12).

وعلى مستوى آخر، فالشرق الأقصى، وليس الشرق الأوسط، هو الذي عرف بعد 1950 أكبر الانتفاضات السياسية (خاصة في الصين) وأعظم التحولات الاقتصادية. وهكذا يمكن القول، في رأي المؤلف: بأن منطقة الشرق الأوسط لا تأتي في الطليعة بالنسبة للخسائر الحربية ولا في درجة الحركية السياسية ولا في الإنجازات والتحولات الاقتصادية. ويذهب المؤلف إلى أن فهم أحداث منطقة الشرق الأوسط يتطلب الجمع بين منظورين: منظور يدرس مجتمعات هذه المنطقة بوصفها مجتمعات تتميز ببعض الخصائص، ومنظور عام يحاول فهم هذه المجتمعات بوصفها جزءاً من مجتمعات العالم الثالث (ص 15). فيما جرى من أحداث في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية تأثر بعوامل داخلية وخارجية. فالحرب الأهلية اللبنانية 1975-1990، والحرب العراقية الإيرانية 1980-1988، وحرب الخليج أمثلة على ذلك. أما ما أسماه المؤلف "بالوحدة الثقافية" بين شعوب الشرق الأوسط فيعترف بأنها أقوى من الوحدة الثقافية بين كل شعوب آسيا وإفريقيا. لكنه يلاحظ أن الوحدة الثقافية بين مجتمعات الشرق الأوسط (ص 33) وينتقد **هاليداي** القائلين: بأن الإرهاب ظاهرة تتميز بها شعوب الشرق الأوسط، فالروس الفوضويون والجمهوريون الإيرلنديون والهندوس المتطرفون واليهود الصهيونيون والقبارصة اليونانيون كلهم مارسوا الإرهاب.

ويخلص الكاتب في هذا الفصل إلى تأكيد أنه لا يمكن تفسير أحداث المنطقة وسياستها بإرجاعها فقط إلى معطيات إسلامية (ص 42).

أما **الفصل الثاني** فيخصصه المؤلف لتحليل الثورة الإيرانية ومقارنتها بثورات عالمية أخرى مثل الثورتين الفرنسية والروسية. وهنا يرى أن الثورة الإيرانية لا تتشابه مع الثورات التي وقعت منذ القرن الثامن عشر، حيث لم تنادِ الثورة الإيرانية بتحسين الجوانب المادية للإنسان ولا هي أكدت أهمية الديموقراطية، ولا هي

أعطت أهمية خاصة للهاجس القومي عند الشعب الإيراني (ص 45). ومما يلفت النظر، في رأي الكاتب، حول الثورة الإيرانية الخصائصُ الآتية:

1- تُعد الثورة الإيرانية أول ثورة معاصرة يكون الدين هو العامل الرئيس لمسيرتها ووقائعها.

2- إنها أول ثورة تحدث في ظل ظروف تنموية اقتصادية واجتماعية أفضل من ظروف الثورة الروسية عام 1917.

3- إن معظم أحداث الثورة الإيرانية قد وقعت في المدن، على العكس من كل الثورات العالمية.

4- لقد كانت الثورة الإيرانية مجابهة سياسية أكثر منها صراعاً مسلحاً مع نظام الشاه.

ومما ساعد على مسيرة الثورة الإيرانية -في رأي المؤلف- تمكّنها من الجمع بين العناصر التقليدية والحديثة في التصدي لنظام الشاه. فقد تظاهر طلبة الجامعات الدينية مع تجار البازارات والطبقة الوسطى للمناداة بسقوط نظام الشاه (ص 56). وبالقيادة "الكارزمية" (Charismatic) **للإمام الخميني**، ويرى **هاليداي** أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تمتعت بالكثير من الشرعية داخل إيران (ص 68).

ثم يستعرض الكاتب في **الفصل الثالث والأخير** من الجزء الأول من كتابه أحداث حرب الخليج (1990-1991) التي تلت غزو العراق للكويت. فيرى أن أزمة هذه الحرب أخطر أزمة دولية لما بعد الحرب العالمية الثانية 1945 (ص 76). ويتمثل أهم ملامح لهذه الحرب في التدخل العسكري والسياسي، والعقوبات التي تعرض لها العراق بعد الحرب. وقد رأى بعض المحللين أن هذه الحرب صراع شامل بين الغرب والإسلام، ويرى الكثيرون أنها شكل جديد للحروب الصليبية (ص 86). ويختلف المؤلف مع الغربيين الذين يدّعون أن الإسلام تهديد للغرب، بل إن **هاليداي** يعتقد أن التهديد يأتي من الدول الصناعية الجديدة في كل من الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية (ص 81).

وعند التساؤل عن دوافع القيادة العراقية لغزو جارتها الكويت، يشير المؤلف إلى أهمية التعرف على طبيعة الأيديولوجيا البعثية القومية في العراق بوصفها فكراً معقد التركيب. وهنا ينبه **هاليداي** إلى أن الشرف

قيمة سامية عند القيادة السياسية العراقية، ولذلك عندما أخفقت في الصراع مع إيران توجهت لغزو الكويت اعتقاداً منها بأن ذلك يخفف من وقع الفشل على الشرف (ص 84).

ثم يستهل المؤلف **الفصل الرابع** من كتابه بتأكيد أن صورة الإسلام بوصفه عامل مجابهة وتهديد للغرب صورة يعتقد فيها كل من العالم الغربي والعالم الإسلامي (ص 107-112). ولكن **هاليداي** يرى أن الواقع في الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك. فمن جهة، لا تمثل الشعوب الإسلامية خطراً حقيقياً على العالم الغربي، إذ أنها لا تملك القوة النووية الهدّامة. ومن ناحية أخرى لم يتخذ الغرب أبداً عدواً دائماً (ص 113). ولا يتفق الكاتب مع القائلين في الغرب بأن الإسلام والديمقراطية في العالم الإسلامي لم يكن تعاملاً متجانساً. بل إن للعوامل الاجتماعية والسياسية للمجتمعات الإسلامية تأثيرها القوي في طبيعة التعامل مع الديمقراطية (ص116).

ويرُدُّ **هاليداي** على الذين يتهمون البلاد الإسلامية بسبب مزجها بين السياسة والدين مشيراً إلى أن هذا ليس خاصية تتفرد بها العقيدة الإسلامية. فالمجتمع الأمريكي المسيحي معروف بتعصبه وتطرفه كذلك. وللهند نصيبها من التطرف الهندوسي الذي ترك آثاره على الأحداث السياسية في المجتمع الهندي المعاصر (ص 117). وعلى الرغم من أن موقف المؤلف المتفتح إزاء فهم مشاغل العالم الإسلامي، فإنه لا يتردد في التنديد بالحركات الإسلامية في المجتمعات الإسلامية وخارجها. فيدعو الغرب إلى اتخاذ موقف صارم ومتشدد ضد الإسلاميين، لأنهم -في نظره- خطر، وخاصة على حقوق الإنسان (ص 130).

أما الفصل الخامس فيعالج مسألة حقوق الإنسان في الإسلام. ويختصر المؤلف هذه الحقوق في الأمور الآتية: حقوق المرأة، وحقوق أهل الذمة، ومسألة العقوبات التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية في بعض القضايا والسلوكيات (ص 134). ويرى الكاتب أن المسلمين اتخذوا خمسة مواقف في تعاملهم مع موضوع حقوق الإنسان (ص 136-139):

1- لا خلاف بين الإسلام والتصور العالمي لحقوق الإنسان.

2- للدول الإسلامية ملف أفضل من غيرها في التعامل مع حقوق الإنسان.

3- تدعي الدول الإسلامية أن ظروفها التاريخية والحضارية تعطيها خصوصية ذاتية، ومن ثمَّ فيه لا تقبل انتقادات الآخرين لسجلها في حقوق الإنسان.

4- يرفض المسلمون الثقافة الغربية نموذجاً لحقوق الإنسان، وينادون بتطبيق الشريعة الإسلامية بدلاً عنها.

5- تتعارض المعايير العالمية لحقوق الإنسان مع الرؤية الإسلامية.

ومما لا يساعد -في رأي **هاليداي**- على فهم المنظور الإسلامي حول حقوق الإسلام، عدم وجود مرجع فكري إسلامي يعالج موضوع حقوق الإنسان بعمق وجدية (ص 143). وكما رأينا -من قبل- **فهاليداي** متخوف من الإسلاميين بسبب تشدد تشريعاتهم وسياساتهم بخصوص حقوق الإنسان. فهو يبدي أيضاً انزعاجه من إعطاء الدين بصفة عامة أهمية في التعامل مع حقوق الإنسان (ص 157).

ويعالج الكاتب في **الفصل السادس** ظاهرة العداء للمسلمين قديماً وحديثاً، فيبدأ بذكر العداء للأتراك المسلمين الذي يكنه لهم الصرب، واليونانيون الذين ينتسبون إلى المسيحية الأرثودوكسية. فمن ناحية، يرجع عداء الصرب إلى هزيمتهم أمام الأتراك في موقعة كو**سوفو Kosove** عام 1375. ومن ناحية أخرى، فسقوط القسطنطينية بأيدي الأتراك هو السبب الرئيس وراء عداوة اليونانيين لهم (ص 170).

ويرى **هاليداي** أن ازدياد العداء عند الهندوس يرجع إلى تطور السياسة الهندية بعد الحرب العالمية الأولى. **فجولوكر Golwalker** أكبر قائد هندوسي يعتقد أن المسلمين يريدون الاستيلاء على كل الهند ومن ثمَّ فهو يمتدح **شارل مارتال Charles Martel** الذي أوقف تقدم المسلمين الفاتحين في موقعة **تور Tours** عام 732.

أما بخصوص العداء للمسلمين في الغرب (أوربا والولايات المتحدة الأمريكية) فيرجعه الكاتب إلى سلسلة من الأحداث التي وقعت بين الجانبين. فالحروب المتواصلة بينهما امتدت من القرن الثامن إلى القرن السابع عشر. وبتقدم الأتراك في فتح الأراضي الأوربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ازداد العداء ضد المسلمين (ص 178). ولكن هذا الشعور العدائي للمسلمين يختلف في الغرب من بلد إلى آخر.

فبارتفاع ثمن البترول في السبعينيات ازداد شعور العداء ضد العرب المسلمين. وجاء انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية على نظام الشاه الموالي للغرب ليزيد من مشاعر العداوة ضد المسلمين (ص 173).

ويختم **هاليداي** تحليله لظاهرة العداء ضد المسلمين بالتعرض لهذه الظاهرة بين الإسرائيليين أنفسهم. فهو يرى أن العداء بين اليهود والعرب المسلمين ذو جذور تاريخية بعيدة. وعلى الرغم من ذلك يعترف **هاليداي** بأن علاقات الدول الإسلامية باليهود كانت أفضل من نظيراتها المسيحية (188). أما بالنسبة لعداء اليهود ضد العرب المسلمين فقد ازدادت حدته بعد حرب الأيام الستة بين العرب والإسرائيليين (ص 189).

ويختم **هاليداي** كتابه **بفصل سابع** يتمحور حول الاستشراق الذي يعرّفه بأنه مجموعة من الكتابات الغربية حول منطقة الشرق الأوسط خلال القرن السابق أو القرنين الماضيين. وهي مؤلفات تتصف بالتشويه والتحيز الراجعين إلى التصورات والرؤى الأوربية القاصرة عن الإحاطة بمجتمعات وحضارات الشرق الأوسط (ص 195). ولا يخفى أن النقاش حول الاستشراق ذو صلة متينة بالإسلام. ويتصدر هذا النقاش كل من المفكر الفرنسي **مكسيم رودنسون وإدوار سعيد**.

ويرى المؤلف أن انتقادات **رودنسون** للمؤلفات الأوربية حول الشرق الأوسط هي الأكثر متانة وتعمقاً فكرياً على المستوى الأوربي.

أما نقد **أدوارد سعيد** للاستشراق فقد ساعده على ذلك استعماله المنهجية الأدبية النقدية ونظريات الخطاب لدى الفيلسوف الفرنسي **ميشال فوكو** (ص 199-200). وبذلك الزاد المعرفي استطاع أن يقوم بنقد شامل للمؤلفات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية حول الشرق الأوسط. ويعترف **هاليداي** بأنه لا يتعاطف مع تحليلات إدوار سعيد ولا مع رؤية **برنار لويس**، لأنهما أخفقا في رأيه، في القيام بشي مهم جداً، ألا وهو تحليلهم للمجتمعات التي يتحدثون عنها وينظّرون لها (ص 201). فكل منهما يعطي أولوية للإيديولوجيا أو الخطاب أو الثقافة السياسية دون القيام بتحليل ما يجري في واقع هذه المجتمعات.

ويختم **هاليداي** آخر فصل من كتابه بتأكيد مقولته الرئيسة في الكتاب كله والقائلة بأن مجتمعات الشرق الأوسط ليست بالمجتمعات ذات السمات الفريدة المتجانسة بين مجتمعات المعمورة، بل هي مجتمعات متنوعة مختلفة الصفات مثلها مثل بقية المجتمعات البشرية الأخرى. ويستشهد المؤلف في نهاية هذا **الفصل الأخير** بالآية القرآنية التي تبرز واقع التنوع والاختلاف بين التجمعات البشرية وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

تحليل ونقد

وبعد هذا العرض المختصر لأهم أفكار **هاليداي،** نريد الآن أن نلقي الضوء على مقولة الكتاب الرئيسة التي يحملها عنوان الكتاب نفسه، والمتمثلة في أن المواجهة بين الغرب والإسلام ادعاء وأسطورة وليست حقيقة. يناقش المؤلف هذه القضية من منظور يميل إلى القول بالحتمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتشددة، أي أنه يحاول فهم أحداث الشرق الأوسط وتفسيرها من خلال العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بما فيها علاقة الغرب بمجتمعات هذه المنطقة. ومن ثمَّ يقلل كثيراً من أثر عوامل أخرى كالعوامل الثقافية، مثلاً، في تشكيل هذه العلاقة كما فعل **هنتنجتون Huntington**.

ثم يطرح المؤلف تصوره للظروف والعوامل التي تشجع على قيام المواجهة بين الشعوب والأمم، وهو تصور يمكن التعبير عنه على النحو الآتي: تقوم المواجهة بين الأمم والشعوب إذا توافر أحد شرطين أو هما معاً:

1- تتجسم المواجهة والعداء بين الشعوب والأمم إذا كان أحدها يهدد وجود الآخر وسلامة كيانه.

2- تقوم المواجهة بين الأمم والشعوب، إذا كان أحدها يهدد مصالح الآخر اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

وبمنطق هذين الشرطين ذاتهما يمكن الحديث عن وجود أو احتمال مواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي ككل. فهذا الأخير لا يمثل تهديداً لوجود المجتمعات الغربية وسلامتها. إذ إن الدول الإسلامية لا

تملك السلاح النووي بينما تمتلكه دول أخرى غير مسلمة وغير مسيحية مثل إسرائيل والصين. ومن ثمَّ فإن حالة المواجهة تنتفي في رأي **هاليداي** ويغدو الحديث عنها من قبيل الأسطورة.

أما بالنسبة لتهديد العالم الإسلامي لمصالح المجتمعات الغربية، فإن نظرة واقعية تفيد بأن مصالح الغرب في المجتمعات العربية والإسلامية تتمتع بنصيب قوي خاصة منذ التسعينيات وسقوط الاتحاد السوفييتي والشيوعية في شرق أوربا. فالمصالح البترولية للغرب في الشرق الأوسط قد جرى تعزيزها من خلال حرب الخليج الثانية. وباستثناء ليبيا وإيران (لسوء علاقتهما مع الولايات المتحدة)، فإنه لا يجوز الحديث عن مواجهة بين الغرب والإسلام بسبب تهديد محتمل لمصالح المجتمعات الغربية في المجتمعات العربية والإسلامية.

لكن عند فحص طبيعة العلاقة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي على مستوى الانتماء الحضاري والثقافي لهاتين المجموعتين من الشعوب والأمم، فإننا سنجد شيئاً من عدم التناغم بينهما. فمن جهة، يرى الغرب أن المسيحية واليهودية هما الأساسان الرئيسان المكوّنان لهويته الحضارية الثقافية. ولا تقتصر معالم هذه الهوية على الجانب المسيحي اليهودي، بل تضم أيضاً رصيد الثقافة اليونانية والرومانية ورصيد ثقافة عصر النهضة والتنوير التي أسس عليها العالم الغربي مسيرته وهيمنته في العصر الحديث، فمن خلال هذه الهوية الحضارية الثقافية ينظر الغرب ويتعامل مع الشعوب والأمم الأخرى بوصفها "آخر". فالشعوب: الصينية، والهندية، والعربية، كلها تمثل في نظر العالم الغربي شعوباً ذات هويات جماعية تختلف عن الهوية الغربية الجماعية المنتسبة إلى الحضارة والثقافة المسيحية اليهودية. فالكنفوشوسية والهندوسية والإسلام يشكل كل منها إطار الهوية الجماعية للشعب الصيني والهندي والعربي على التوالي. وبعبارة أخرى، فهذه الهويات الجماعية الثلاث هي هويات أخرى أي مختلفة أو حتى غريبة عن الهوية الجماعية المسيحية اليهودية الغربية.

وعلى أساس **مفهوم الهوية الحضارية الثقافية** يمكن فهم الإطار الذي جرت فيه المواجهة العسكرية مرتين في هذا القرن بين الشعب الألماني وبقية الشعوب الغربية. فقد كانت المجابهة العسكرية بين الجيش الألماني وجيوش الحلفاء الغربيين في الحرب العالمية الثانية مواجهة خطيرة جداً من الصنف الأول للمواجهة التي أشرنا إليها سابقا، إنها مواجهة مست كينونة العديد من الشعوب الغربية نفسها. فقد نجحت جيوش **هتلر** في احتلال الكثير من الأمم الأوربية في طليعتها فرنسا، وروسيا، والنمسا، وبولندا، وعلى الرغم من ذلك

التهديد السافر لأمن عدد كبير من الشعوب الأوربية وسلامتها وما ترتب عنه من دمار مادي ومعنوي، فإن انتساب ألمانيا إلى الهوية الجماعية المسيحية اليهودية ساعد على **عملية إعادة دمج الشعب الألماني بسهولة** في صلب التحالفات الغربية أثناء الحرب الباردة وبعدها.

وهكذا يمكن القول: إن العالم الغربي ينظر إلى الهوية الجماعية الإسلامية لشعوب الشرق الأوسط بوصفها هوية مختلفة عن الهوية الجماعية المسيحية اليهودية للشعوب الغربية. ونظراً لتقدم العالم الغربي وهيمنته العالمية في العصر الحديث، فإنه قد نشأت عنده نظرة دونية إلى بقية الشعوب المتخلفة. وما الفكر الاستشراقي في رأي الكثيرين، إلا محاولة غربية لإرساء تصور معرفي يسوغ وسم الشعوب الإسلامية في الشرق الأوسط بالدونية وإشاعة نزعة عقلية تحقيرية عنها.

وفضلاً عن هذه الرؤية الاستشراقية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، فإن أحداث التاريخ في العصور الوسطى بين الغرب والعالم الإسلامي تجعل الغرب متخوفاً من المسلمين، إذ إن احتلال المسلمين الأوائل لشبه الجزيرة الإيبيرية لمدة سبعة قرون، واحتلال الأتراك المسلمين في مرحلة تالية لعدد من الأراضي الأوربية يذكي في عقل الأوربيين وشعورهم أن خطر المسلمين لا ينبغي أن ينسى ويُمحى من الذاكرة، إذ إنه لا الصين ولا الهند ولا اليابان –حيث تدين أغلبية السكان بغير المسيحية– قد هددت الغرب في عقر داره، فالعرب المسلمون هم الذين انفردوا بمثل هذا التهديد لشعوب الغرب.

أما موقف المسلمين من الغرب فقد شكلته عوامل وأحداث مختلفة عبر التاريخ. فالقرآن صرحي في تأكيده أن اليهود والمسيحيين من أهل الكتاب وأنه يجب على المسلمين احترامهم والتعامل معهم بالحسنى. لكن سور القرآن تحفل أيضاً بالانتقادات اللاذعة لليهود والمسيحيين. ويخص القرآن بالذكر اليهود بوصفهم أكثر عداوة للمسلمين من المسيحيين.

إن استعمار بريطانيا وفرنسا لمعظم أقطار الشرق الأوسط كانت له أيضاً نتائج مزدوجة على شعوب الشرق الأوسط. فمن ناحية، فزع المسلمون وشعروا بالإهانة والمذلة عندما وقعوا في قبضة المستعمر الغربي المسيحي، ولم يستعيدوا كرامتهم إلا بعد حرب التحرير التي نالوا بها استقلالهم. ومن ناحية ثانية، فقد تعلّمت فئات من هذه الشعوب لغة المستعمر وثقافته واستطاعت بذلك أن تكون النخبة القائدة لشؤون البلاد بعد

الاستقلال. وبحكم التكوين اللغوي والثقافي لهذه الفئات فقد انتشرت بينها عقلية التعاطي مع الغرب وخفة العداء له. وعلى مستوى ثالث فالمسلمون لا يرضون عموماً عن القيم المادية وأخلاق الإباحية الجنسية التي تشيع في المجتمعات الغربية الحديثة.

وبناءً على هذه المعطيات الثقافية التي توجه تصور أحد الطرفين للآخر وتشكل تعامله معه، يمكن القول: إن العلاقة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي المعاصرين علاقة يتخللها الكثير من التوتر والتخوف وعدم الاطمئنان. وهي بهذا المعنى ضرب من **المجابهة الخافتة** التي لا يدرك معالمها ولا يعرف ثقلها حقاً إلا التحليل الذي يأخذ بعين الاعتبار مدى أهمية أثر الرموز الثقافية في عملية تقارب الشعوب أو تنافرها، وفي عملية تحالفها أو تصادمها. وهذا ما لم يقم بمناقشته **هاليداي** في كتابه.

لقد حاول أن يقنع القارئ بأن مسألة المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي مجرد أسطورة وليست حقيقة. إن منهج تحليله تغلب عليه السطحية، بينما ظاهرة المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب ظاهرة معقدة، أي أن لها عدة مستويات. وما سميناه بالمجابهة الخافتة (الثقافية) بين المسلمين والعالم الغربي جزء من ظاهرة المجابهة بوصفها كلاً مركباً ومعقداً.

إن مقولة **هنتنجتون** حول تصادم الحضارة الغربية مع الحضارة الإسلامية على الخصوص في المستقبل تجد الكثير من المشروعية إذا نُظر إليها من خلال طبيعة الرموز الثقافية التي تحدد الهويات الجماعية للشعوب وتشكل تصوراتها للآخرين ولنفسها.